دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلد 21 العدد 02 السنة 2021 ص ص 293-319
ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

حجم سكان الجزائر أثناء حقبة الاحتلال الفرنسي

قراءة كمية موضوعية في المعطيات المتوفرة

The size of the population of Algeria during the era of the French occupation:

An objective quantitative reading of the available data

د. تومي حسين[1]

[1]أستاذ بقسم علم الاجتماع والديموغرافيا ،جامعة الجزائر 2. أبو القاسم سعد الله ،

hctoumi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 07/ 01/ 2020 تاريخ القبول: 2021/10/21 تاريخ الارسال: 2021/12/31

Abstract

The aim of this demographie study is to review and evaluate the data and the statistic issued and the statistic issued and reported by the colonial administration.

The data, where then, taken by Algerian researchers without any analys's or investigation.

In this study an objectif analysis is repoited by applying some scientific techniques of demography which led the author to conclud that the number of the Algerien population was larger than the number aduanced by the occypants

المؤلف المرسل: تومي حسين

البريد الالكتروني: hctoumi@yahoo.fr

Keywords:
Population, population, population growth, estimate, census, profession.

ملخص :

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات السكانية الهادفة إلى إعادة قراءة وتقييم المعطيات الخاصة بأعداد سكان الجزائر أثناء حقبة الاحتلال الفرنسي ، التي أوردها ضباط الجيش الفرنسي غداة اقتحامهم لبلادنا الجزائر ، وكذا تلك الاحصائيات الصادرة عن الإدارة الاستعمارية ، هذه المعطيات المجحفة والمزّيفة والتي بنى عليها لاحقا الدارسون والباحثون الفرنسيون وبعض الباحثين من الجزائريين الذين أخذوا عنهم دون تمحيص ودون تحقيق لهذه المعطيات .

لقد نهج الباحثون الفرنسيون على التسليم بما أورده قادة جيش الاحتلال من ذِكر لأعداد مجحفة لسكان الجزائر لتبرير عمليات القتل والإبادة التي مارسها أفراد جيش الاحتلال ، بل الأدهى و الأمّر أن عددا من هؤلاء الباحثين ذهب لإنكار بعض التقديرات الموضوعية التي أوردها "حمدان خوجة" والتي مفادها أن عدد سكان الجزائر كان يبلغ حوالي 10 ملايين نسمة عند اقتحام المحتلين للبلاد . وبتطبيق بعض التقنيات العلمية الديموغرافية توصلت الى أن حجم سكان الجزائر كان أكبر بكثير مما قدّره المحتلون ، وأن الموضوع في حاجة الى مزيد من التوضيح والبحث والتحري .

الكلمات المفتاحية : السكان ، النمو الديموغرافي ، التقدير ، التعداد ، الاحتلال .

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

المقدمة:

الحديث عن ديموغرافية الجزائر بشكل كمي ، عادة ما يبدأ من بداية الاحتلال الفرنسي ، لأنه يتعذر الحصول عن تقديرات أو احصاءات خاصة بالسكان في العهود السابقة ، وذلك لأسباب عديدة منها : أن القطر الجزائري بحدوده الراهنة لم يكن موجودا إلا مع مجيء العثمانيين حيث بدأت الحدود الجغرافية تتحدد وتتضح معالمها لتصل الى ما هي عليه حاليا ، كذلك في العهود السابقة عن العهد العثماني كانت الحدود الجغرافية متحركة لدرجة أن الحديث عن القطر الجزائري كان يتم ضمن الوحدة الجغرافية "للمغرب الاسلامي" تحت مسمى "المغرب الأوسط".

ومن المؤكد أن المؤرخين والرحّالة قد ذكروا أعدادا للسكان في المنطقة ، ولكن عبارة عن تقديرات لجهات محددة أو لمدن بعينها ، وهذا موجود في كل العصور التاريخية التي مرت بها المنطقة ، ولعل أصح وأقرب تقدير لحجم السكان في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي ، ذلك الذي ذكره "حمدان خوجة" في مؤلفه "المرآة" والذي قدّره بعشرة ملايين نسمة . لهذه الأسباب وغيرها فإن الحديث الديموغرافي الكمي عن سكان الجزائر يبدأ من الاجتياح الفرنسي للبلاد سنة 1830 .

1 - تقديرات غير فرنسية لسكان الجزائر في سنة 1830 :

الحديث عن سكان الجزائر قبيل وأثناء الاحتلال الفرنسي الظالم والغاشم ، ذو شجون يثير في النفس الأحزان والهموم ويحيي تلك الذكريات المملوءة والمشحونة بالأوجاع والآلام ، لما فعله أولئك الوحوش والأوغاد من عصابات الجيش الفرنسي ومنذ الوهلة الأولى حين وطئت أقدامهم القذرة أرض الجزائر ،

حيث مارسوا كل أنواع الاجرام وتفننوا بكل ما استطاعوا ، في إبادة أفراد الشعب الجزائري ، وتجويعه وترويعه وتهجيره وإفقاره وتجهيله ، وممارسة كل أنواع الجريمة من التقتيل والإبادة في حق كل من وجدوه أمامهم ، ونهب وسلب ممتلكاتهم وخيراتهم دون رحمة ولا شفقة ودون تمييز بين كبير وصغير و بين رجل و إمرأة أو بين محارب و مسالم ، حتى أنهم انتزعوا حلي النساء الحرائر اللائي قتلوهن بوحشية لا نظير لها في تاريخ البشرية وقاموا ببيعها في أسواق فرنسا وهي ملطخة بالدماء الزكية وبعضها تحمل بقايا لحم هؤلاء النساء العفيفات ، وذلك بانتزاع أقراط النساء من حلقات آذانهن وأساورهن من معاصمهن دون رحمة ، وللحقد الذي كان يحمله هؤلاء اتجاه السكان الجزائريين لم يبق فيهم أدنى نصيب من الانسانية للقيام بتطهير هذه القطع من الحلي والمجوهرات وغسلها وتنظيفها من آثار جرائمهم البشعة قبل بيعها في الأسواق . إنه التنكيل وروح الانتقام والقتل .

ولم يكتف هؤلاء المعتدين المحتلين ، بالقتل والتنكيل والتهجير داخل البلاد وتشتيت السكان ، بل قاموا بتهجير الآلاف منهم الى خارج البلاد الى غياهب سجون فرنسا والى المناطق البعيدة في مدغشقر وكاليدونيا الجديدة وغيرها ، لكي لا يفكر هؤلاء الأبرياء في العودة الى بلادهم ، لا لذنب ارتكبوه سوى أنهم رفضوا احتلال أرضهم وأبَوا إلا أن يقاوموا جنود الاحتلال الفرنسي الغاشم .

ومما يزيد في الألم والحسرة والأسى ، إدعاء هؤلاء الوحوش وكتّابهم وبعض مؤرخيهم وساستهم أنهم جاءوا لينشروا الحضارة والتحضر في الجزائر(!!!؟) يا لها من حضارة ويا له من تحضر ، لم تعرفه حتى الحيوانات المفترسة في أدغال الغابات .

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

ولإيضاح الأمر بعض الشيء فهذا "فريدريك انجلز" الانجليزي رفيق "كارل ماركس" الذي كان مراسلا صحفيا في باريس ، وبعد القبض على الأمير عبد القادر الجزائري كتب يقول : "إنه لحسن الحظ أن هذا الزعيم العربي قد قبض عليه ، ذلك أن نضال أهل البدو كان بلا جدوى ، ورغم أن الطريقة التعسفية التي اتبعها الجنود الفرنسيون مثل بوجو ، في حربهم جديرة بكل لوم ، فإن احتلال الجزائر عمل مهم نعتبره في صالح التقدم الحضاري"[1] .

كانت هذه مقدمة قصيرة لا بد منها قبل الولوج في الحديث عن حجم وأعداد سكان الجزائر إبّان وبعد دخول الاستدمار الفرنسي ، ذلك الحديث المليء بالتناقضات والمغالطات بسبب الطمس الذي شاب تاريخ الجزائر في هذه الأثناء ، وإنه لمن الصعب التوفيق في الوصول الى كشف الحقيقة وضبطها ، لما يروى في هذا الشأن من المعطيات والأخبار المضطربة وسعي الفرنسيين بالأخص الى طمس وإخفاء الحقائق للتورِيَة والتغطية عن جرائمهم البشعة واللاإنسانية في حق سكان الجزائر ، وعمليات الإبادة والمجازر التي ارتكبوها في حق الأبرياء من المدنيين المسالمين .

لعل التفكير في حجم سكان الجزائر عشية الاحتلال ، يحيلنا الى أول مصدر في تقدير حجم سكان الجزائر أثناء وخلال السنوات الأولى لبداية الاحتلال الفرنسي والقريب الى الحقيقة والواقع ، ذلك الذي كتبه " حمدان بن عثمان خوجة" وهو مسؤول سامي في الادارة الجزائرية - العثمانية قبل جويلية 1830 ، في أواخر عهد العثمانيين بالجزائر ، والذي ضمّنه مؤلفه الموسوم : "المرآة" ، حيث جاء فيه بأن الجزائر يسكنها عشرة ملايين نسمة ، يتوزعون ما بين المدن

والقرى والسواحل والأرياف ، وأن النصيب الأكبر من السكان الذين يمثلون مصدر الثروات خارج المدن ، أولئك الذين يطلق عليهم اسم البدو [2].

ويؤكد في أكثر من موضع في ثنايا كتابه على أن حجم سكان الجزائر عند بداية الاحتلال الفرنسي كان عشرة ملايين نسمة إذ جاء في سياق كلامه : "إن مسألة الجزائر ، مسألة خطيرة لأنها تخص حياة أمة بأجمعها ، تتكون من عشرة ملايين نسمة وهي الآن من سوء الحظ ، في نقصان يتزايد من يوم لآخر بسبب الحرب ، والبلاد يقودها الظلم والطغيان منذ ثلاث سنوات ، وإنني أرى هؤلاء السكان المساكين يرزحون تحت نير الاستبداد معرضين للإبادة ولجميع آفات الحرب وتلك المظالم كلها ترتكب باسم فرنسا الحرة " [3].

وبعد استعراضه لأحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية والدينية وما آلت اليه في ظل الهجوم الفرنسي المتوحش والشرس ، عاد في نهاية الكتاب الى موضوع حجم السكان ليؤكد بقوله : " لقد تكلّمتُ عن سكان الجزائر ، وقلت بأن عددهم يبلغ (10.000.000) عشرة ملايين نسمة ، قد يعتقد بعض قرائي أنني أبالغ ، ولذلك أقول لهم بأن على المرء أن ينتقل في داخل البلاد لمدة أسبوع على الأقل ليكوّن لنفسه فكرة تكاد تكون صحيحة عن عدد هؤلاء السكان واستعداداتهم لكي يصدق ما قدمّته من أقوال . إن خصوبة أرضها وصحية جبالها وقناعة أهلها قد ساعدت كثيرا على مضاعفة الجنس البشري فيها " [4].

وهكذا يتجلى أن عدد سكان الجزائر عشية الاحتلال كان يبلغ 10 ملايين نسمة . وقد بدأ في التناقص بسبب العدوان الغاشم والحرب الظالمة ، وجرائم الإبادة وجميع جرائم الحرب العدوانية أو كما يصرح صاحب "المرآة" [5].

وما يؤكد ما ذكره حمدان خوجة ، تصريح أحد الضباط الفرنسيين الذين صاحبوا الحملة الفرنسية الغاشمة بقوله : "إن هذه الأرض التي قيل لنا انها

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

متوحشة وخالية من السكان ، وجدناها مغطاة بالمساكن الريفية الجميلة ، تحيط بها البساتين ، وكلها مبنية فوق مرتفعات تتناقض حركاتها المتموجة مع شواطئ (بروفانس) القاحلة "[6] .

في حين ذهب الباحث الجزائري "الجيلالي صاري" في دراسته الموسومة : "الكارثة الديمغرافية (1867 - 1868)" وبعد قراءته للمعطيات التقديرية والإحصائية الصادرة عن الدوائر الفرنسية الرسمية وغير الرسمية وبعض الدارسين الغربيين ، وإعادة تقييمها ونقدها في ضوء التقنيات الحديثة التي توصلت اليها العلوم السكانية ، توصل الباحث الى تقدير حجم سكان الجزائر عند الاجتياح الفرنسي سنة 1830 ، بحوالي (05) خمسة ملايين نسمة على الأقل ، مشككا في التقديرات التي قدّمها الباحثون الفرنسيون ، هؤلاء الذين لا يُستغرب منهم محاولتهم طمس الحقيقة التاريخية ، المتمثلة في عمليات الابادة الجماعية التي مارستها قوات الاحتلال الفرنسي بالجزائر .

وقد لا يتسنى لنا الوقوف على حقيقة الأعداد الخاصة بسكان الجزائر إبّان السنوات الأولى للاحتلال ، نظرا لعمليات الحرق والتخريب والسرقات التي تعرض لها الأرشيف الجزائري من طرف جيش الاحتلال ، لكن من المؤكد أن المحتلين الفرنسيين مارسوا عمليات إبادة جماعية أدت الى تناقص حجم السكان بالجزائر الى مستويات مريبة ، كما في قول أحد الفرنسيين : " الأمر أكثر من وباء ، إنه موت مجتمع وهذا هو الاحساس لدى أفراد هذا المجتمع "[7] .

ومن الغريب أننا نجد عدد سكان الجزائر خلال العقود الأولى من الاحتلال ، بقي ثابتا أو متذبذبا بين التناقص مرة أو الثبات مرة أخرى كما هو مدوّن في سجلات المحتل (كما سنبيّنه لاحقا) ، وهذا مردّه الى المجاعات والأوبئة

والأمراض الفتاكة التي تعرض لها السكان الجزائريين خاصة بالشمال ، وذلك بسبب ممارسات الجيوش الفرنسية من القتل والإبادة والتجويع والترويع و الافقار والتجهيل والتهجير في حق الأبرياء من سكان البلاد الأصليين.

ومن نتائج هذه الممارسات المتوحشة والظالمة ، أن حدثت سنتي 1867 و1868 كوارث وجوائح المجاعة والأوبئة الفتاكة ، التي أدت الى أن أصبحت الجثث تملأ السبل والطرقات ، وفي المدن تحولت بعض الساحات والشوارع الى مقابر مفتوحة في الليل ، أما في البوادي فإن نواحي بأكملها خلت فجأة من السكان، الأمر الذي أدى الى تسجيل حصيلة ثقيلة جدا خلفت ما بين سنتي 1871 و1872 فقط ، أكثر من مليون وفاة [8].

لقد حلت على الجزائريين خلال السنوات الأخيرة من ستينيات القرن التاسع عشر الكوارث الواحدة تلو الأخرى ، أدت الى إتلاف المحاصيل بفعل الجراد والزلزال في منطقة البليدة والجفاف والكوليرا ، وكان الأوروبيون أقل تضررا كونهم يملكون أفضل الأراضي التي كانت مسقية . وقد أدت هذه الكوارث الى فَقْدِ الفلاحين من الأهالي (الجزائريين) سنة 1868 أكثر من نصف القطيع ، وكانت عدد وفيات البشر تفوق 300 ألف وفاة ، وكان الفلاحون أكثر تضررا حيث كانت أشلاء جثثهم تملأ الطرق [9].

الحديث عن حجم السكان في الجزائر إبّان السنوات الأولى للاحتلال ، يتطلب جهودا ضخمة تتجاوز جهود الباحثين المنفردين ، ولكي يتسنى لنا الاقتراب من معرفة الواقع الديموغرافي الذي كانت عليه الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي ، لا بد من تسخير جهود بحثية مؤسساتية ومنظمة تقوم بإجراء تحقيقات وبحوث تسلط الأضواء على هذه المرحلة انطلاقا من بقايا الأرشيف الخاص بالجزائر ، سواء ذلك الذي تمكن الأتراك من أخذه معهم الى تركيا ، أو ذلك الذي اختطفه

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

المحتلون وبقي منه الشيء القليل بفرنسا . وعلى كل حال سنقوم باستعراض التراث الاحصائي الذي قام بانجازه المحتل الفرنسي ، للاستهداء به لمعرفة التطورات التي حدثت على حجوم السكان بالجزائر مع إبداء التحفظات والانتقادات اللازمة كلما تطلب الأمر ذلك .

2 - تقديرات الفرنسيين لسكان الجزائر عند احتلالهم للجزائر:

عرفت التقديرات السكانية بالجزائر إبان الفترة الاحتلالية الفرنسية عدة مراحل حسب الظروف التي كانت تميّز الوجود الفرنسي بالبلاد ، وكذلك وفق الأهداف والغايات المستهدفة من الاعلان عن هذه التقديرات والجهات المعلنة والمصدرة لهذه المعطيات ، وطبعا وفق المتغير الزمني وتطورات الاحتلال للبلاد - كما سنراه لاحقا - .

2- 1 - تقديرات فرنسية مجحفة لسكان الجزائر سنة 1830 :

لعل من المفيد أن نبدأ حديثنا عن تقديرات لحجم السكان بالجزائر غداة الاحتلال الفرنسي ، من الدراسة التي نشرتها " المجلة الافريقية " "Revue Africain" الصادرة في جانفي 1954 ، إذ خصصت ملفا هاما لتقييم الأعداد التي أعطيت لسكان الجزائر أثناء سنوات الاحتلال الأولى ، حيث جاء في البحث الشامل الذي كتبه الباحث "ياكونو" " X , Yacono" تقييما شاملا لحجم السكان بالجزائر في سنة 1830 من خلال عرضه لمعظم التقديرات التي أُنجزت من طرف الكتّاب والباحثين الفرنسيين خاصة ، نقدمها باختصار والتي فحواها أن الباحث "بوتان" " Boutin" ذكر أن عدد سكان الجزائر كان يقدّر ما بين 2.8 مليون الى 03 ملايين نسمة سنة 1808 ، في حين ذكر "شالي" " W , Shaler" أن

عددهم أقل من واحد مليون نسمة سنة 1826 ، بينما جاء تقديرهم ما بين 1.8 مليون الى 1.9 مليون نسمة سنة 1830 حسب "جريدة العلوم العسكرية" "Journal des Sciences Militaires" الفرنسية .

ومن جهته الباحث "Juchereau de Saint – Denys" قدّر سكان الجزائر بحوالي 800 ألف نسمة سنة 1831 ، كذلك أورد كاتب المقال التقدير الذي قدمناه لصاحب مؤلف "المرآة" حمدان خوجة والمقدّر ب 10 مليون نسمة سنة 1833 ، وفي السنة نفسها جاء تقدير "de la Pinsonntère " الذي ذكر أن عددهم ما بين 3 ملايين الى 4 ملايين نسمة، سنة بعد ذلك قدّرهم "الجنرال فالازي" "G , Valazé" في حدود 2 مليون نسمة ، وفي سنة 1836 قدّرهم "Pélissier de Reynaud" بحوالي 2.5 مليون نسمة .

وفي سنة 1841 ذكر "Bory de Saint Vincent" حجم ضئيل يتراوح ما بين 400 ألف و1.2 مليون نسمة ، بينما " Bodichon" يذكر حجما معتبرا لسكان الجزائر سنة 1845 يتراوح ما بين 12 مليون الى 14.5 مليون نسمة ، وفي العام ذاته قدّر "Bugeaud" حجما يقترب من 4 ملايين نسمة ، ليعود في سنة 1847 ليرفع تقديره الى حوالي 8 ملايين نسمة ، وفي ذات العام جاء تقدير "E , Girardin" ما بين 5 ملايين الى 7 ملايين نسمة .

وعلى إثر استعراضه لمختلف الدراسات والأبحاث والتحقيقات التي أنجزت لتقدير حجم سكان الجزائر إبّان السنوات الأولى للاحتلال ، أورد صاحب الدراسة التقويمية للمعطيات الاحصائية الخاصة بسكان الجزائر في سنة 1830 ، أحجاما مختلفة لكتّاب وباحثين آخرين قاموا بإجراء أبحاثهم حول تقدير حجم سكان الجزائر لسنة 1830 ، وهذه المرة انطلاقا من التقديرات أو الاحصاءات الرسمية التي قامت بإجرائها سلطات الاحتلال الفرنسي ولا سيما

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

تقدير سنة 1856 وما تبعه من تقديرات وتعدادات ، حيث ذكر الباحث عددا ينيف على الخمسين من الكتّاب والباحثين الذين اهتموا بهذا الموضوع منذ سنة 1863 الى غاية سنة 1954 تاريخ نشر هذه الدراسة . وقد جاءت تقديرات هؤلاء الكتّاب الذين ذكرهم الباحث "ياكونو" كل باسمه ، ما بين واحد مليون نسمة كحد أدنى و 10 ملايين نسمة كحد أعلى ، لسكان الجزائر في سنة 1830 (10).

2 - 2 - وقفة تقييمية :

المتتبع لسيرورة المعطيات الاحصائية المتعلقة بالسكان الجزائريين الصادرة عن الدوائر الاستعمارية ومنْ لفّ لفّها ، زمن اجتياح الجيش الفرنسي الغاشم للجزائر ، يجدها وكأنها نابعة من معين واحد إلا ما ندر ، وأن جل الباحثين والدوائر الفرنسية الرسمية وغير الرسمية متفقين على تقزيم حجم سكان الجزائر أثناء الاحتلال ، ربما يعزى ذلك الى محاولة اخفاء جرائم الابادة والتنكيل المرتبكة في حق الأبرياء من سكان البلاد ، التي أوردها المؤرخون والذين عايشوا تلك الفترة والتقليل من شأنها .

فلا غرابة إذًا أن نجد بعض الأعداد المعطاة لحجم سكان الجزائر في 1830 ، والتي تحوم ما بين 2.5 مليون نسمة و3 ملايين نسمة ، تسري في كتابات أهل الاختصاص وغيرهم من الدارسين من الجزائريين وغير الجزائريين ، وكأنها مسلّمات لا نقاش فيها ، ومن بين هؤلاء ، المنشورات الصادرة عن الهيئة الرسمية للإحصاءات بالجزائر المستقلة (الديوان الوطني للإحصائيات) ، ومنها انتشرت في كتابات الدارسين والباحثين الجزائريين باستثناء القلة القليلة وعلى رأسها الدراسة السابق ذكرها للباحث "جيلالي صاري" ، هذا فضلا عن كتابات

الفرنسيين ومنهم مثلا الدراسات والأبحاث الصادرة عن "المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية" "INED" وكذا المؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" في كتاباته المختلفة عن الجزائر ، ومنها قوله : "إن من الصعوبة بمكان تقدير عدد سكان إيالة الجزائر في سنة 1830 . ولكن يبدو أنهم كانوا في حدود ثلاثة (03) ملايين نسمة ، وكان جل هؤلاء تقريبا (90 % الى 95 %) يقيمون في الأرياف والجبال"[11] .

ومن المدهش أن مؤرخ مثل " أندري جوليان " ذا صيت هائل خاصة في أوساط المثقفين الجزائريين ، يذكُرُ هذا الرقم دون أن يكلّف أو يسأل نفسه من أين له بهذا ؟ ولماذا أختار هذا الرقم ولم يختار الأرقام الأخرى التي ذكرها أبناء جلدته كذلك (؟ !!) أي دون إشارة الى أي مصدر يمكن الرجوع إليه . وهذا ديْدَنُ معظم الباحثين المذكورين لم يشيروا الى مصادر معلوماتهم ، وكم من معلومات مكذوبة أو مغلوطة أو مزيّفة انتشرت في كتابات ودراسات كثيرة وسَرَت كما يسري السّم في الدم ، ونالت ثقة الباحثين والدارسين وتداولوها دون تمحيص أو تشكيك أو حتى تحليل علمي !!!

كانت هذه مقدمات وملاحظات أردّت أن أبديها هنا من أجل التأسيس لحديثي ، فيما سيأتي عن السكان أثناء الحقبة الاستعمارية ، خاصة خلال القرن التاسع عشر هذا القرن المليء بالجرائم والمظالم بما فيها جرائم الطمس والإخفاء للأرشيف والوثائق وحرقها ، وتزييف وتشويه للحقائق التاريخية والإحصائية الخاصة بسكان الجزائر ، وكما رأينا أن الأعداد متضاربة ومتناقضة وتراوحت ما بين واحد مليون نسمة الى 4 ملايين نسمة لسنة 1830 حسب الفرنسيين على اختلافهم ، وهذه التقديرات تعتبر بعيدة جدا عن ذلك الرقم الذي ذكره حمدان خوجة وهو 10 ملايين نسمة .

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

ينبغي الاشارة أن صاحب مؤلف "المرآة"[12] قد ذكر المنهج الذي اعتمده في تقديره لسكان الجزائر ، وهو أحد أبنائها وكان يشغل منصبا ساميا في الادارة الجزائرية - العثمانية قبل الاحتلال الفرنسي ، بينما الكتابات الفرنسية وعلى اختلافها ، فهي خالية من ذكر المصادر خاصة اذا علمنا أن الظروف المتزامنة مع بداية الاحتلال كما يعرفها الجميع ، لم تكن مواتية لإجراء أي تقدير أو احصاء نزيه ودقيق ويحظى بالمصداقية آنذاك .

تجب الاشارة هنا الى الظروف الاقتصادية العامة التي كانت عليها الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ، أي أثناء أواخر العهد العثماني ، ومن ذلك ما ذكره المؤرخون على اختلافهم ، بأن الجزائر خلال نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، كانت تعيش ظروفا اقتصادية مزدهرة أساسها النشاط الزراعي الذي كان يدر على السكان محاصيل جيدة في أغلب السنوات تزيد عن حاجتهم ، لدرجة أن قدّمت السلطات في الجزائر مساعدات غذائية ومالية لفرنسا عندما كانت تعيش في ضائقة اقتصادية شديدة ومحنة ومجاعة هائلة سنة 1793 ، وبقيت الجزائر تمدّ فرنسا بالمؤونات والأموال الى غاية بداية القرن التاسع عشر وبدون فوائد ربوية ، خاصة عن طريق شركتي بوشناق وبوخريص التجاريتين اللتين يملكهما اليهود [13] .

وكانت ممارسة الفلاحة المتسعة تستكمل بتربية الماشية التي كانت هي الأخرى متسعة ، وتتمثل أساسا في تربية الأغنام التي يكون قد بلغ القطيع فيها 07 الى 08 ملايين رأس وكان يؤّمن أجود اللحوم ، وكانت الماعز والنعاج ، ونادرا الأبقار والنوق تؤّمن الحليب الطازج الذي كان يستهلك في شكل لبن رائب وزبدة زنخة (دهان) [14] .

أيعقل أن يكون بلد في حجم الجزائر مساحة وثروة ، والتي عُرفت طوال تاريخها أنها كانت تمثل "مطمورة" الغذاء لأوروبا ، وأنها كانت تمتلك ثروة حيوانية يزيد عددها عن سبعة ملايين رأس قبيل احتلالها كما ذكره "أندري جوليان" ، أيعقل أن نصدّق أن عدد سكانها كان لا يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة سنة 1830(!!؟؟) ، ونحن على يقين تام بأن توفر الغذاء يعد العامل الأساسي الذي يؤدي الى زيادة السكان خاصة في ذلك الزمان ، وقد يحيلنا هذا النقاش الى المقارنة مع الوقت الراهن ، فنحن الآن(2019) يزيد عدد سكاننا في الجزائر عن 43 مليون نسمة ، ولا نملك من الثروة الحيوانية إلا حوالي 25 مليون رأس من مختلف الأنواع الحيوانية ، بالرغم من إدخال التكنولوجيات الحديثة في تربية الأنعام .

المقام لا يسمح بنقاش أكثر وإلا فالأدلة والشواهد المتوفرة كثيرة ومُقْنِعة ، تلك التي تفنّد مزاعم الفرنسيين بشأن تقديرهم لحجم السكان بالجزائر عشية احتلالها ، وعلى كل حال سنأخذ بالمعطيات الصادرة عن المحتل الفرنسي لتتبّع التطورات الحاصلة على حجم السكان بالجزائر ، خلال الفترة الاستعمارية مع الانتقادات والتحفظات اللازمة حين يستدعي الأمر ذلك (عملا بالمثل الجزائري القائل : أتبع الكذّاب الى باب داره) .

3 - سكان الجزائر خلال القرن التاسع عشر تحت نير الاحتلال :

كما سبق القول أن التقديرات الفرنسية لحجم سكان الجزائر عشية احتلالها سنة 1830 تشير الى عدد يحُوم حول (03) ثلاثة ملايين نسمة ، وبعد ست سنوات من ذلك أي سنة 1836 قامت سلطات الاحتلال بإجراء أول تقدير لسكان البلاد في ظل الادارة الاستعمارية ، علما أن جيش الاحتلال لم يبسط سيطرته إلا على جزء بسيط من البلاد يتمثل خاصة في العاصمة الجزائر وما

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

جاورها وبعض مناطق الشمال ، أما بقية مناطق البلاد فإما هي في حالة حرب بقيادة الأمير عبد القادر في جهة الغرب وأحمد باي في جهة الشرق ، بينما مناطق الهضاب والجنوب الكبير لم تطأها بعد أقدام جنود الجيش الفرنسي المعتدي في هذه الأثناء ، قلت أظهر هذا التقدير وجود حجم سكاني تعداده 2.487.679 نسمة منهم 180.330 أجانب. أي أن العدد الحقيقي للسكان الجزائريين هو 2.307.349 نسمة وفقط .

يظهر مما سبق أن حجم سكان الجزائر فَقَدَ أكثر من نصف مليون نسمة في ظرف ست سنوات من الاحتلال ، بمعنى أكثر من الخمس (1 من 5) من اجمالي السكان ، وبمتوسط معدل سنوي سلبي يبلغ (-4,37) % . وإذا أخذنا هذه المعطيات بجدية فإنها تؤكد بما لا شك فيه أن قوات الجيش الفرنسي قد قامت بارتكاب جرائم لا يمكن تسميتها إلا تحت مسمى "جرائم إبادة" و "جرائم ضد الإنسانية " ومجازر مروّعة قضت على مئات آلاف من الأبرياء في ظرف قصير لا يتجاوز ست سنوات ، أما إذا أخذنا معطيات تقدير سنة 1836 قياسا بحجم 10 ملايين نسمة أو 05 ملايين نسمة فإن المأساة تكون أشد وأعظم وأن وحشية الجيش الفرنسي المحتل تجاوزت كل الحدود ، تلك التي قتلت نصف السكان أو ثلاثة أرباعهم في ظرف ست سنوات .

ما قيل عن المثالب والنقائص التي شابت التقديرات التي أُعطيت لسكان الجزائر سنة 1830 ، يقال عن التقدير السكاني الذي صدر سنة 1836 ، يضاف اليها بعض العيوب التي رافقت سنوات الاحتلال الأولى ، ومنها أن الظروف التي أجري فيها التقدير كانت ظروفا سيئة ، وأن الشعب الجزائري كان لا يزال في حالة حرب ومقاومة ضد المحتل ، كما أن جيش الاحتلال لم يكن قد وطئت

أقدامه أرض الجزائر كلها ، وأن كثير من الجزائريين بسبب الحرب كانوا في حالة غير مستقرة ، أو كانوا في حركة دائبة في حِل وترحال بسبب نمط الحياة الذي كان سائدا في مناطق واسعة ، وكذلك لشساعة أرض الجزائر التي لم يستطع الاستعمار استكمال احتلالها إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، حيث لم تطأ أقدام جنود جيش الاحتلال أرض تندوف إلا سنة 1922. هذا بالإضافة الى ضعف التقنيات والإمكانيات المتوفرة آنذاك التي تسمح بإجراء التقديرات والإحصاءات السكانية ذات مصداقية وموضوعية مقبولة .

لهذه الاعتبارات وغيرها ، لا يمكننا الاطمئنان البتّة للمعطيات الاحصائية الخاصة بسكان الجزائر الصادرة عن الجهات الفرنسية مهما كانت رسمية أو غير رسمية (أي أكاديمية) إبّان العقود الأولى للاحتلال ، لكننا نجد أنفسنا مجبرون للتعامل مع هذه المعطيات الصادرة عن الفرنسيين المحتّلين ، كونها الوحيدة المتوفرة خلال طيلة عهد الاحتلال ، وأنه من الأهمية بمكان الاطلاع على نتائجها وتاريخ إجرائها وذلك بقصد الاستفادة منها في معرفة التطور الذي عرفه النمو السكاني بالجزائر طيلة عهد الاحتلال .

وعليه فإذا أمضينا في تتبع المادة الاحصائية المتوفرة عن سكان الجزائر خلال القرن التاسع عشر ، فإننا ستوقفنا تلك الأعداد التي تضمنها الجدول اللاحق ، والتي مفادها أن نمو السكان في الجزائر خلال القرن التاسع عشر عرف وتائر نمو متضاربة ومتذبذبة وغير ثابتة كما يوضحها الشكل رقم (01) ، نحو منحى واتجاه غير واضح تماما هبوطا وصعودا ، ومن ذلك أن عدد سكان الجزائر منذ 1836 الى غاية 1886 لم يستقر على نمط سكاني معين ، إذ بقي يتراوح ما بين الزيادة الطفيفة و التناقص المريع ، ثم العودة الى الارتفاع الطفيف من جديد ، حيث تراجع حجم السكان الى 2.028.000 نسمة سنة 1845 أي بعد حوالي عشر

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

سنوات من أول تقدير للسكان الذي تم في 1836 ، مسجلا متوسط معدل سكاني سنوي سلبي لهذه الفترة يعادل (-1,43) % ، ثم يعود للارتفاع الطفيف سنة 1851 الى حجم 2.324.000 نسمة ، ثم يتراجع الى عدد 2.310.000 نسمة سنة 1856 ، بعدها يرتفع العدد الى 2.737.000 سنة 1861 ، بمعنى يزيد بنسبة 18,48 % ، ليعود الى الانخفاض من جديد سنة 1866 ليسجل عدد 2.656.000 نسمة ، ليهوي بشدة بعد خمس سنوات الى حجم 2.134.000 نسمة في سنة 1872 ، أي بنسبة 19.65 % بمعنى فَقْدِ خُمُس عدد السكان في ظرف ست سنوات ، وبمتوسط معدل سنوي سلبي يعادل(-3,64) % ، ويعزى هذا الى الأوبئة والأمراض الفتاكة والمجاعة التي ضربت البلاد في هذه الأثناء مخلفة ضحايا كُثر ، وهنا لا بدّ أن تستوقفنا حادثة المجاعة ، فكيف يجوع شعب وهو يعيش على أرض تعد من أخصب أراضي المعمورة ؟ . وقد كان الى وقت قريب يمد هذا المحتل الغاشم بالمؤن الغذائية لمّا أصابته المجاعة والفاقة قبيل نهاية القرن الثامن عشر كما مرّ بنا . وقد تطرق الباحث "الجيلالي صاري" الى تقييم وتحليل مستفيض للأعداد السكانية التي قامت السلطات الاستعمارية بإنجازها خلال القرن التاسع عشر والتي تعرضنا الى ذكر بعضها سابقا[15] .

وبعد أربع سنوات من سنة 1872 يعود السكان للارتفاع مسجلا حجما يصل الى 2.479.000 نسمة سنة 1876 ، ثم بعد خمس سنوات يرتفع الى 2.842.000 نسمة سنة 1881 . أي بمتوسط معدل سنوي للفترتين مساويا 3,74 % و 2,73 % على الترتيب.

وهكذا نلاحظ التذبذب بين الصعود والهبوط ، والذي بقي يراوح مكانه مابين 2 مليون و2,5 مليون نسمة خلال نصف قرن ، ويُفسر هذا الوضع بوجود موانع

إيجابية قوية تحول دون الزيادة السكانية ، ولكن ليس من النوع الذي أشار اليه مالتوس ، أي أنها تلك الموانع التي يفرضها القانون الطبيعي العاتي المهيمن لاستعادة التوازن بين عدد السكان وموارد الغذاء ، وإنما هي موانع فرضها الاستعمار الفرنسي بجرائمه المختلفة، من الحروب والإبادة الجماعية والتهجير والافقار والأمراض والأوبئة والمجاعات وسائر العوامل التي تؤدي الى القضاء على الحياة التي بدأت فعلا ، مما حال دون تحقيق معدلات للنمو السكاني العادي ، الذي حققته المجتمعات المشابهة للمجتمع الجزائري آنذاك ، ومنها المجتمع المصري الذي كان يصل تعداد سكانه في مقتبل القرن التاسع عشر أي في سنة 1800 حوالي 2,5 مليون نسمة . (وهذا تقريبا الحجم السكاني الذي كان عليه المجتمع الجزائري حسب المصادر الاستعمارية التي سبق ذكرها) ، لينتقل الى 4,47 مليون نسمة سنة 1846 ، ثم الى 6,8 مليون نسمة سنة 1882 ، لينهي القرن التاسع عشر بحجم وصل الى 9,7 مليون نسمة سنة 1897 [16].

بمقارنة بسيطة بين تطور حجم السكان بمصر مع نظيره في الجزائر ، خلال نفس الفترة ، نجد أن الحجم السكاني بمصر استمر في النمو خلال الفترة الممتدة ما بين (1800 - 1882) محققا نسبة زيادة تصل الى 172 % ، بينما حقق نسبة زيادة ما بين (1846 - 1882) تصل الى 78,8 % ، في حين أن سكان الجزائر تناقص خلال فترة (1830 - 1872) بنسبة تقدّر ب 28,86 % ، كذلك وصل حجم سكان مصر في سنة 1897 الى 9,7 مليون نسمة ، بالمقابل وصل حجم سكان الجزائر الى 3.781.000 نسمة فقط بحلول سنة 1896 . وبقراءة بسيطة يمكننا القول أن سكان مصر تضاعف حوالي ثلاث مرات في حين بقي حجم سكان الجزائر يراوح مكانه طيلة القرن التاسع عشر وهذا بناء على المعطيات الصادرة من الجهات الاستعمارية .

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

وبمتابعة التطور في عدد سكان الجزائر ، فإن تعداد 1876 أظهر انتعاشا نحو الزيادة بعد النكسة التي حصلت في سني المجاعة والأوبئة (1867 - 1868) ، مسجلا حوالي 2.5 مليون نسمة ، ليستمر التزايد بعد ذلك منهيا القرن التاسع عشر بتعداد سكاني يصل الى حوالي 4 ملايين نسمة ، الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي أدت الى هذا الوضع السكاني غير الطبيعي .

ويمكن حصر أهم الأسباب التي جعلت نمو سكان الجزائر خلال هذه الفترة (1830 - 1900) لا يتزايد بمنحى طبيعي كما هو منتظر ، وكذا زيف التعدادات التي قامت بانجازها سلطات الاحتلال في ما يلي :

1 - كون أن البلاد في بداية الاحتلال ، لم تستطع قوات جيش الاحتلال الفرنسية أن تتوسع الى كافة مناطقها ، إذ أن احتلال مناطق القبائل الكبرى وهي مناطق آهلة بالسكان لم تخضعها فرنسا لسيطرتها إلا بعد سنة 1861 ، أما مناطق الجنوب فقد بقيت في منأى عن الاحتلال الى غاية نهاية القرن التاسع عشر وبعضها الى بداية القرن العشرين .

2 - شهدت هذه الفترة ثورات متوالية ، منها ثورة الأمير عبد القادر (1833 - 1847) ، وثورة المقراني (1871 - 1872) ، وثورة بوعمامة 1881 وغيرها من الثورات والانتفاضات التي قام بها الجزائريون في وجه الاستعمار عبر كافة مناطق البلاد .

3 - المجاعات والأمراض والأوبئة التي تعرض لها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال.

4 - مقتل مئات الآلاف من الجزائريين في حربهم ضد جيش الاحتلال الفرنسي .

5 - عمليات التهجير القسري وغير القسري في الداخل والى الخارج بداعي المشاركة في الثورات والانتفاضات ضد المحتل الغاشم ، وكذا طبيعة نمط الحياة البدوية التي تجعل عددا هاما من السكان في حالة تنقل وترحال دائم بحثا عن سبل العيش .

4 - تطور عدد سكان الجزائر خلال القرن العشرين للفترة (1900.1962) :

وإذا انتقلنا الى القرن العشرين ، حيث استطاع الاحتلال بسط سيطرته على كامل مناطق البلاد ، وقد أحكم نفوذه وفرض ادارته واستقرت الأوضاع له ، وعليه فان التعدادات التي أنجزت خلال هذه الفترة يمكن الاطمئنان إليها شيئا ما ، إذ كانت مدعومة بجهاز اداري خاص بتسجيلات الحالة المدنية الذي بوشر العمل به في سنوات الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، مع ابداء بعض التحفظات اللازمة على هذه التعدادات كلما استدعى الأمر ذلك ، وفي هذا السياق فقد كان أول تعداد استهلت به سلطات الاحتلال القرن العشرين هو تعداد 1901 الذي يمكن القول عنه أنه تعداد قام على أسس احصائية سليمة نوعا ما قياسا الى ما سبقه من تعدادات ، بالرغم من الظروف غير المناسبة تماما ليحظى بكامل الثقة والاطمئنان ، حيث كان الشعب الجزائري يشك في كل ما يأتيه من الادارة الفرنسية البغيضة فضلا عن ضعف الجهاز الاداري وقلة خبراء الاحصاء ، وشساعة البلاد ، وقد أظهر هذا التعداد حجما يعادل 4.089.000 نسمة بمن فيهم من الأجانب الفرنسيين والأوربيين عامة .

نتائج تعداد 1901 تُبيّن استمرار الزيادة السكانية التي بدأت منذ تعداد 1886 ، أي خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، فقد شهدت وتيرة النمو السكاني تصاعدا في هذه الفترة (1886 - 1901) بنسبة 24,40 % ، بينما سجلت الفترة (1886 - 1911) متوسط معدل نمو سنوي للسكان يعادل 1,45 % ،

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

لينخفض المعدل من جديد خلال العشرية التالية الممتدة من(1911 الى 1921) مسجلا معدلا في حدود 0,37 % ، ويعزى هذا التراجع الى سنوات الحرب العالمية الأولى التي شهدت تجنيدا إجباريا للشباب الجزائري في صفوف قوات الاحتلال الفرنسية ، وكذلك لمختلف المآسي التي صاحبت الحرب على أرض الجزائر وما خلفته من ضحايا في أوساط سكان البلاد .

الجدول رقم (01): يبيّن متوسّط معدّل النّمو السنوي للسكّان للفترة (1830 – 1966)

الفترة الزمنية	متوسّط معدّل النمو السكاني %
1836 – 1830	-4,37
1845 – 1836	-1,43
1851 – 1845	2,27
1856 – 1851	-0,12
1861 – 1856	3,39
1866 – 1861	-6,60
1872 – 1866	-3,64
1876 – 1872	-3,74
1881 – 1876	2,73
1886 – 1881	2,90
1891 – 1886	1,69
1896 – 1891	1,10
1901 – 1896	1,56
1906 – 1901	1,81
1911 – 1906	1,14
1921 – 1911	0,37
1926 – 1921	0,90
1931 – 1926	1,62

1936 – 1931	2,08
1948 – 1936	1,54
1954 – 1948	2,64
1960 – 1954	1,55
1966 – 1960	3,74

الجدول مستخرج من بيانات الجدول السابق ، باستعمال المعادلة: $r = 1 / n \, Ln \, P_n / p_0$.

حيث : r = متوسط معدل النمو السكاني للفترة (n) . P_n = عدد السكان في نهاية الفترة .

P_0 = عدد السكان في بداية الفترة . n = عدد سنوات الفترة .

جدول رقم (02) يبين تطور عدد سكان الجزائر من عام 1836 الى 1966 .

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
1836	2.307	1901	4.089
1845	2.028	1906	4.478
1851	2.324	1911	4.741
1856	2.310	1921	4.923
1861	2.737	1926	5.151
1866	2.656	1931	5.588
1872	2.134	1936	6.201
1876	2.479	1948	7.460
1881	2.842	1954	8.745
1886	3.287	1960	9.602
1891	3.577	1966	12.018
1896	3.781		

Source : ONS , Annuaire Statistique de L'Algérie (1981) , ENAG , Alger ,1981 , p , 10 .

وبمتابعة قراءة النتائج الواردة في الجدولين (01) و (02) نلاحظ انتعاش وتيرة النمو السكاني عقب نهاية الحرب العالمية الأولى في الفترات (1921 - 1926) و (1926 - 1931) و (1931 - 1936) بمعدلات متزايدة من فترة الى أخرى مسجلة على

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

التوالي 0,9 % و 1,62 % ثم 2,08 % ، وهذا أمر طبيعي جدا تشهده الشعوب عادة بعد خروجها من حرب مدمرة أو مأساة أو أزمة خانقة ، وهي ما تعرف لدى المختصين تحت مسمى "ظاهرة التعويض الناتج عن الحرب" .

بعد هذا الانتعاش في معدلات النمو السكاني ، تعود مرة أخرى معدلات النمو الى الانتكاسة بفعل دخول العالم في حرب عالمية ثانية مدمرة امتدت ما بين (1939 - 1945) ، عاشت فيها الجزائر أحلك أيامها وسنواتها ، وفرضت الحرب على الشعب الجزائري من جديد معيشة الضنك والنغص والنكد ، من تجنيد اجباري للشباب في صفوف القوات الفرنسية ، وتقشف وشظف العيش لمستوى المجاعة ، ناهيك عن الأمراض وتراجع الخدمات الصحية على قلتها وغيرها من المآسي . في هذه الأثناء تم تسجيل معدل للنمو السكاني للفترة (1936 - 1948) ما تقديره 1,54 % فقط .

ومباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، تسترجع وتيرة النمو السكاني في الجزائر من جديد حيويتها ونشاطها نحو التصاعد وبقوة وبمعدلات غير مسبوقة مسجلة متوسطا سنويا يقدر 2,64 % للفترة (1948 - 1954) ، ويفسّر هذا الصعود بالإجراءات التي اتخذتها سلطات الاحتلال بعد الحرب لصالح السكان من الأهالي الجزائريين نظير مساهمتهم ومشاركتهم في دحر النازية ، من أجل تحسين ظروف معيشتهم ، كإنشاء المدارس وبناء السكنات والمستشفيات وبعض المرافق الاقتصادية والخدمية ، التي من شأنها أن تؤدي الى تخفيض مستويات الوفاة ، وبالتالي رفع معدلات النمو السكاني .

وما هي إلا سنوات حتى عادت الحرب من جديد الى البلاد ، وهذه المرة كانت الحرب التحريرية المظفرة في غرة نوفمبر 1954 لتستمر الى حوالي 07 سنوات ،

وكما هو معروف فقد خلفت الحرب ما يربو على 1,5 مليون ضحية من الشهداء الأبرار ، وتدمير شبه كلي لآلاف القرى والأحياء السكنية ، وتخريب لمئات منشآت البنية التحتية للاقتصاد الجزائري ، وتهجير لمئات الآلاف من السكان في الداخل والى الخارج وغيرها من المآسي والنكبات والآلام والأوجاع التي كابدها الشعب الجزائري في سبيل التحرر من ربقة الاستعمار الذي طال ليله المظلم الحالك .

كل هذا انعكس سلبا على معدلات النمو السكاني بالبلاد مسجلة تراجعا هائلا ، حيث لم يتجاوز المعدل السنوي للفترة (1954 - 1960) ما نسبته 1,55 % ، بالرغم من تسجيل معدلات سنوية مرتفعة للمواليد الخام تجاوزت في المتوسط 46,5 في الألف . ذلك أن معدلات الوفيات كانت عالية هي كذلك خلال هذه الفترة ، حيث قدم المجتمع الجزائري تضحيات فاقت 16 % من تعداده الكلي ، الأمر الذي منع الزيادة السكانية من مواصلة تصاعدها . وهذا ما يبيّنه الشكل رقم (01).

شكل بياني رقم (01) يوضح تطور نمو سكان الجزائر خلال الفترة (1830 -1966)

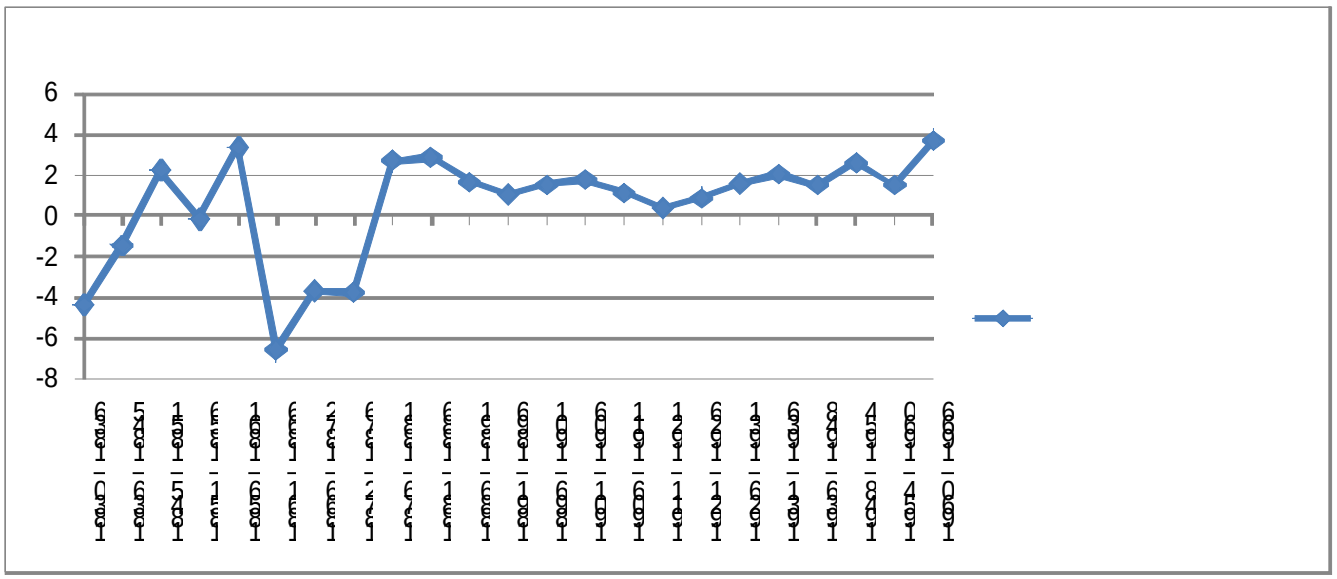

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

خاتمة :

كانت هذه اطلالة سريعة ووقفة تقويمية مختصرة لتقديرات حجم سكان الجزائر أثناء الحقبة الاستدمارية، أين حاول المحتل إضعاف الوجود السكاني من الأصل الجزائري بشتى الأساليب الوحشية ، مقابل احلال محله العنصر السكاني من الأوروبيين وخاصة من الفرنسيين . ذلك أن عدد سكان الجزائر كان يبلغ حوالي عشرة ملايين نسمة عشية الاحتلال لينزل مع مرور الوقت الى حوالي 2 مليون نسمة في سنوات السبعينيات من القرن التاسع عشر ، أي بعد أربعة عقود من الزمن مقابل تزايد عدد الأوروبيين من الصفر الى حوالي مليون نسمة . ومن الصدف الغريبة أن الاستعمار وعشية خروجه من الجزائر ترك حجم سكان الجزائر في حدود 10 ملايين نسمة بعدما حقق حجما في حدود 4 ملايين نسمة في بداية القرن العشرين (1900) .

كل الذي سبق ذكره يشير وبقوة أن الاستعمار الفرنسي مارس في الجزائر . وخاصة في القرن التاسع عشر . أساليب وحشية من التقتيل والإبادة والمجازر والتهجير والترويع والتجويع ، والتي كان من نتيجتها تراجع أعداد سكان الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية لاسيما خلال القرن التاسع عشر ونموا محتشما وبسيطا خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وبمجرد نيل البلاد استقلالها في سنة 1962 شهدت الحركية السكانية والديموغرافية نموا هائلا . من ذلك تضاعف عدد سكان الجزائر في ظرف 20 سنة فقط ، ليبلغ عددهم حوالي 20 مليون نسمة في سنة 1982 . ما يعني أن الموانع الايجابية (بالتعبير المالتوسي)

كانت قوية خلال الحقبة الاستعمارية والتي حالت دون زيادة طبيعية لحجم السكان بالجزائر

.5. قائمة المراجع:

1 - أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، الجزء الأول ، ص ، 81 .

2- حمدان بن عثمان خوجة ، **المرآة** ، ترجمة : محمد العربي الزبيري ، منشورات أناب ، الجزائر ، 2005 ، ص ، 13 .

3- نفس المرجع ، ص ، 08 .

[4]- نفس المرجع ، ص ، 270 .

[5]- الجيلالي صاري ، **الكارثة الديمغرافية 1867- 1868** ، ترجمة : عمر المعراجي ، منشورات أناب ، الجزائر ، 2008 ، ص ، .370

[6]- عبد الرحمن الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام** ، دار الأمة ، الجزائر ، 2014 ، الجزء الرابع ، ص ، 158 .

7. Djilali SARI , Le Désastre Démographique , SNED , ALGER , 1982 , P , 260 .

8 - Ibid , P , 260.

[9] - شارل أندري جوليان ، **تاريخ الجزائر المعاصرة : الغزو وبداية الاستعمار 1827 - 1871** ، ترجمة : مجموعة من المترجمين ، دار الأمة ، الجزائر ، 2013 ، المجلد الأول ، ص ، 717 .

10. X , Yacono , Peut-On évaluer la Population de L'Algérie Vers 1830 ? , Revue Africaine , n^{0} 438-439 1er et 2^{ém} Trimestres 1954 , Alger , 1954 , p,p , 276-307 .

1[1]- شارل أندري جوليان ، مرجع سابق ، ص ، 16 .

12- لم يكتف المثقفون الفرنسيون بتزييف تاريخ الجزائر وطمس أرشيفها استكمالا للمهمة الاجرامية لجيشهم الغاشم ، بل ذهب المؤرخ "شارل أندري جوليان" في كتابه المذكور آنفا " تاريخ الجزائر المعاصرة

ISSN : 2602-7402
EISSN: 2676-1637

" الى التشكيك في كتاب "المرآة" لحمدان خوجة ، قائلا : أن رولان دوبيسي الفرنسي هو من أملاه عليه ، ولا أحد أشار الى أن ذلك مجرد ترجمة ليس إلا (ص 132) حسب زعمه ؟ !! .

13- عبد الرحمن الجيلالي ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ، 278 .

14 - شارل أندري جوليان ، مرجع سابق ، ص ، 18 .

15 - لمزيد من التفصيل أرجع : جيلالي صاري ، **الكارثة الديمغرافية** ، (LE DESASTRE DEMOGRAPHIQUE) مرجع سابق .

16- عبد الرحيم عمران ، **سكان العالم العربي حاضرا ومستقبلا** ، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية ، نيويورك ، 1988 ، ص ، 105.

دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية